

دمشق وتحولاتها العمرانية



أبواب الجامع ومنها باب البريد وباب النوفرة وباب العمارة وباب الزيادة، ثم ينتقل لوصف الدهليزين والمشاهد ومنها مشهد أبي بكر، ومشهد عمر، ومشهد عثمان، ومشهد علي، مبيناً تفاصيلها وتفصيل القباب في رسوم تفصيلية مسقطية ثلاثية الأبعاد وصور لكل منها.

من الأمور الأخرى الجديرة بالذكر وضع صور الدعوات التي كانت قائمة في بدايات القرن العشرين، والتي شوهدا الترميم الحديث، وهذا الرأي لنا. بعدها ينتقل الكاتب لوصف حرم الجامع وما يحويه من قباب وموجودات الحرم والمحراب الرئيس والمحراب المضاف وزخارفهم. خصص الكاتب قسماً من عمله لوصف ماذن الجامع الثلاث، الشمالية والشرقية والغربية، علماً بأنها تعرف باسم مئذنة الوليد، وهي تعد أولى المآذن التي بنيت في العالم الإسلامي. ويشدد الكاتب على أن مئذنة الوليد عربية المنشأ والفكرة والأساس، وهي طراز عم بلاد الشام وتأثرت به أبراج الكنائس الغوطية الأوروبية ومآذن مشابهة منها جامع القيروان ومراكش وجامع القرويين والجامع الكبير في صنعاء. ومن الممكن أن مئذنة المسجد الجامع في إشبيلية المسماة الجيرالدا (المصور 7) على الطراز ذاته، إذ يتبين ذلك عند مقارنة طرازها بمئذنة العروس (المصور 8).

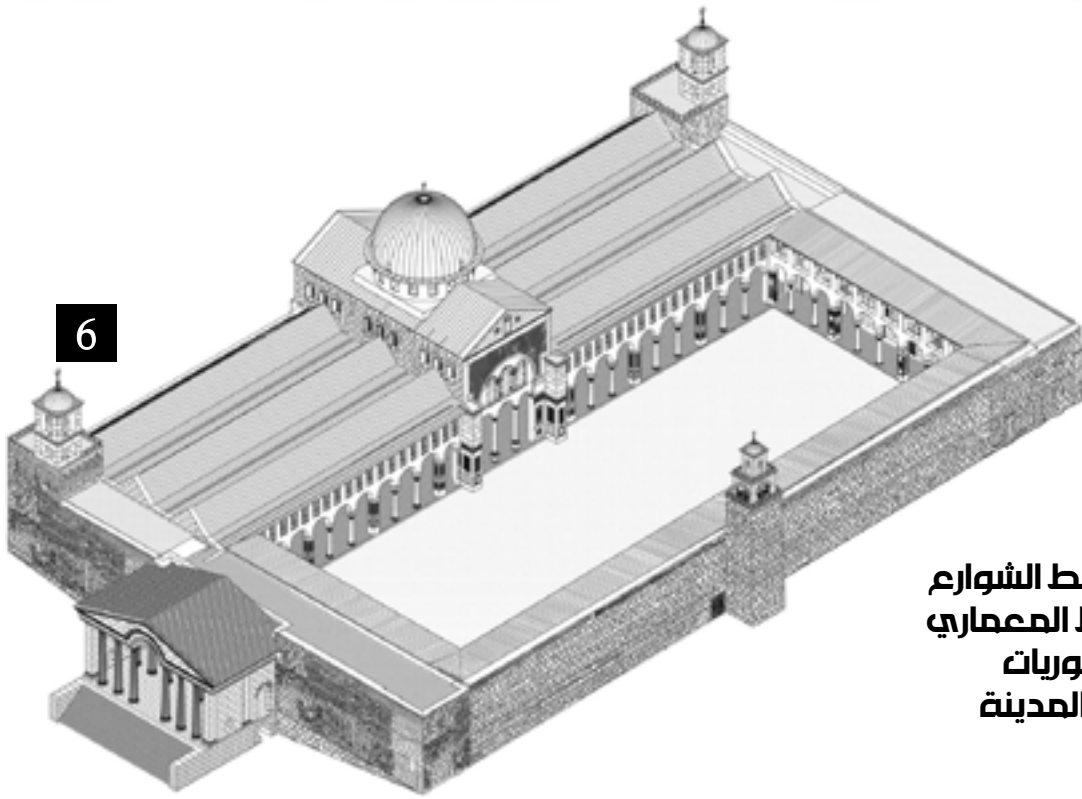
ينتهي الكاتب عرضه التفصيلي الجميل بالحديث في تفاصيل الفسيفساء في الجامع. ويخض لوحة بردي (المصور 9) يبلغ عرضها 34,5 مت وارتفاعها 7,2 متر، ويعود القسم الأكبر منها إلى عصر الوليد) على رواق الصحن الغربي، بعرض تفاصيل كل قسم منها، شارحاً محتوياتها ومنها قصر وبيوت جميلة على ضفة نهر بردى، ورواق يشبه ميدان المبارزة والسباق، وأشجار غاية في الجمال وقريبة وقعت على ضفاف النهر، ومجموعة عمرانية متكاملة مؤلفة من ثلاثة بيوت. علماً بأن هذه اللوحة الفسيفسائية تعد من أجمل اللوحات في العالم. وقد تغنى النابغة الشيباني بالجامع في أبيات سجلها الكاتب في مؤلفه.

المؤلف ينتقل من بعد إلى عرض الكتابات والنصوص التاريخية في الجامع ومنها العائدة إلى قتيبي وقانصو الحيواوي وغيرهما. ويختتم العمل بعرض الأسماء والوثائق والمخططات ذات العلاقة بعمارة الجامع، مع صور لها، ومن ثم وضع جدول زمني بأحداث الجامع بدءاً من إنشاء معبد حدد الأرامي في القرن العاشر ق ت س، وانتهاءً بمتابعة إصلاح الفسيفساء في عام 1958.

أهمية إضافية تعكس مكانة هذا المؤلف، الذي يجب أن يكون في كل مكتبة، هي ترجمته وصدوره بالإنكليزية والألمانية واليابانية، وما لا شك فيه أنه سيترجم إلى لغات أخرى.

كلمة أخيرة، هذا العرض المختصر لا يمكن أن يعكس أهمية هذا المؤلف الذي يعد إهداء خاصاً للمكتبة العربية، أخذين في الاعتبار أنه يحوي أكثر من مئتي مصور، ما أجبرنا على اختيار قلة قليلة منها رأينا أنها تسهم في توضيح محتواه وأهميته وجمالياته. هذا المؤلف يحفظ لنا صورة أحد أهم أوابد العالم مؤرخاً له ولأهميته، مما يكسبه مكانة خاصة لمكتباتنا خصوصاً في عصر السعار المذهبي التكفيري الوهابي الاعرابي الوحشي الذي يجتاح المنطقة ولا يعرف سوى الغزو والقتل والغنيمته، ولا علاقة له بعقل ولا باي من صفات البشر والإنسانية الأخرى.

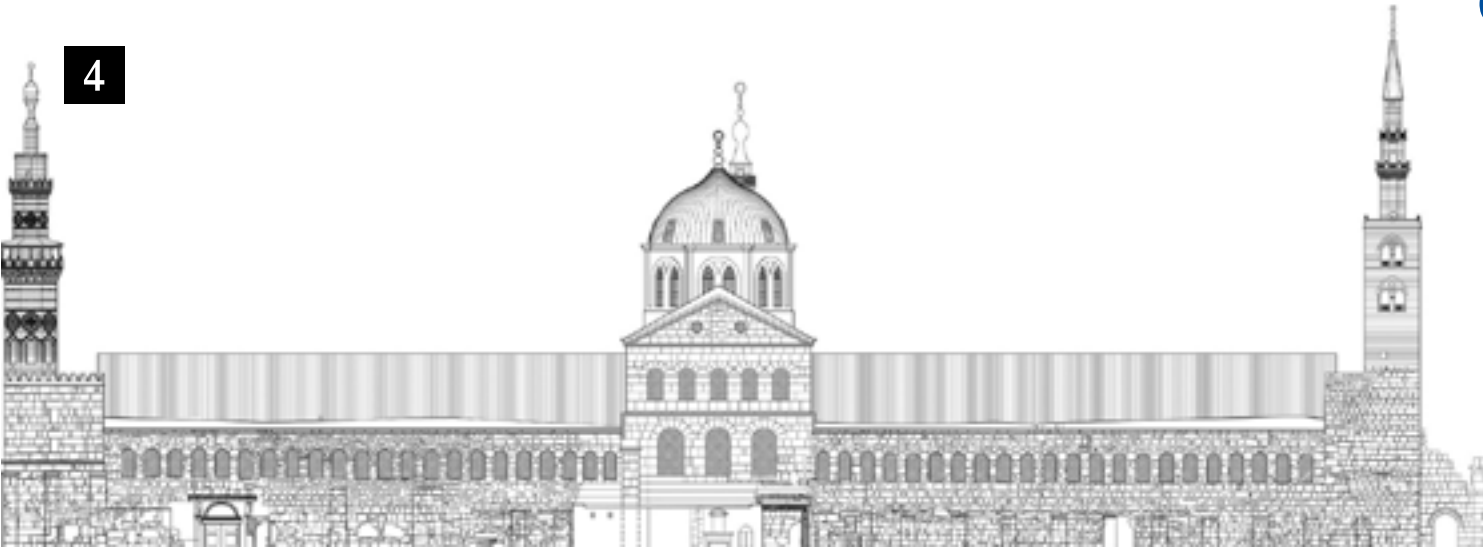
9



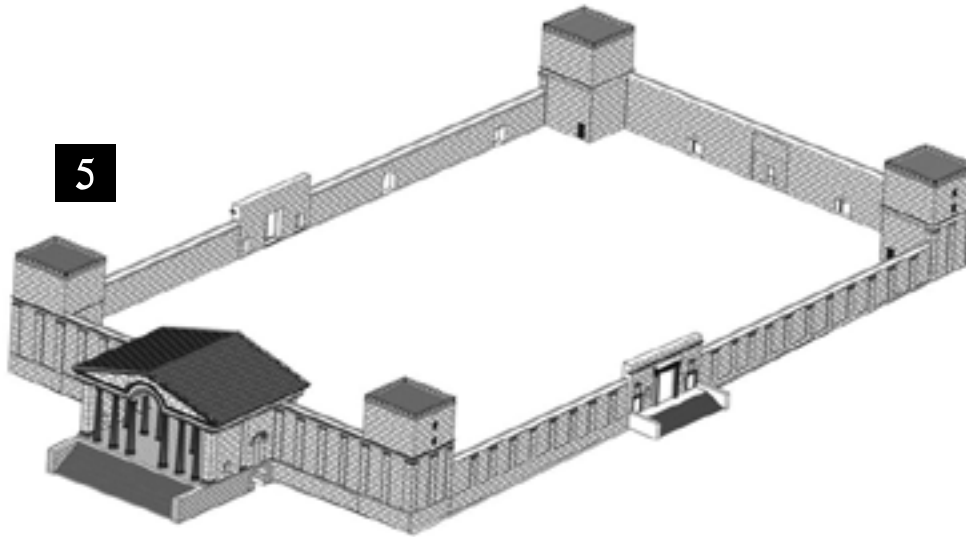
6

يرصد التحولات في تخطيط الشوارع والابنية بسبب تغير النمط المعماري وفق مخططات الإمبراطوريات المختلفة التي مرت في المدينة

4



5



8



3

